المحاضرة الرابعة: رواد علم الاجتماع

ابن خلدون	Ibn Khaldoun	1406_1332م
أوغست كونت	auguste Comte	1857_1798م
كارل ماركس	Karl Marx	1883_1818م
إميل دوركايم	Émile Durkheim	1917_1858م
ماكس فيبر	Max Weber	1920_1864م
هربرت سبنسر	Herbert Spencer	1903_1820م

جدول يوضح الروّاد المؤسسين لعلم الاجتماع

إن أي محاولة لدراسة وفهم أي ميدان من ميادين الفكر ونخص بالذكر ميدان علم الاجتماع تتطلب العودة إلى الجذور الأولى له، انطلاقا من أفكار وتصورات أهم الرواد الذين يرجع إليهم الفضل في نشأة وتطور هذا العلم، وفيما يلي نستعرض أهم رواد ومؤسسي علم الاجتماع.

1) ابن خلدون (1332_1406م) Ibn Khaldoun

ولد ابن خلدون في مدينة تونس سنة 1332م من أصل أندلسي، في عائلة اشتهرت بنشاطها العلمي في مجال الفقه والعلوم الأدبية، وعرف بأنه المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع والذي أسماه **بعلم العمران البشري** وذلك في كتابه الشهير "**المقدمة**"، حيث شكلت دراسته

للظواهر الاجتماعية الجزء الأكبر منه فقد لاحظ أن هذه الأخيرة لا يمكن فهمها ودراستها وفق مناهج التاريخ ، ولهذا جاءت معالجته لها متسمة بالمنهجية والمنطقية والتسلسل، مركزا على دراسة طبائع العمران البشري وأحواله ومعرفة القوانين المفسرة لظواهره.

وعلم العمران البشري عند ابن خلدون يقوم على:

• دراسة بنية المجتمع أو ما يعرف بالمورفولوجيا حديثا.

• تتبع أحوال ومظاهر الحياة الاجتماعية والمتمثلة في الأنشطة ومجموعة العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع.

• دراسة النظم العمرانية باختلافاتها السياسية والاقتصادية والدينية والتربوية...

• تطور المجتمعات من البداوة إلى التحضر.

أما منهجه في البحث فقد اقترح مجموعة من الأسس والخطوات أهمها: الاعتماد على المعرفة الدقيقة للقوانين المؤطرة للظواهر الاجتماعية والتخلي عن الأهواء الشخصية والأحكام العشوائية والذاتية، بالإضافة إلى تفشي العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية والظروف المرتبطة بها، والاعتماد على الملاحظة الدقيقة في جمع المعلومات والمقارنة المؤكدة لها.

2) أوغست كونت (1798_1857م) Auguste Comte

فيلسوف ومفكر فرنسي من المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع الحديث، تأثرت آراءه وأفكاره بفلاسفة القرن الثامن عشر خاصة الفيلسوف سان سيمون، عرف بحقده الشديد ورفضه للاضطرابات والصراعات السائدة في مجتمعه خاصة ما سببته الثورة الفرنسية من تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية بصفة عامة وآثارها على الفرد الفرنسي، فكان يرغب في إصلاحه من مظاهر الفوضى جراء تفشي الميتافيزيقا في دراسة الظواهر

الاجتماعية، وأعلن كونت عن نشأة علم الاجتماع بوصفه علما مستقلا في ذاته لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية، أي دراسة علمية شأنه في ذلك شأن علوم الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا التي تدرس ظواهرها في ضوء مناهج البحث العلمية.

فكان علم الاجتماع من وجهة نظر كونت ذو رؤية علمية وضعية عليه تطبيقها وفق منهجيات علمية صارمة، بالإضافة إلى الاعتماد على الملاحظة الحسية التي تسمح باستنتاج القوانين المفسرة للعلاقة بين الظواهر.

ومن أهم ما جاء به كونت هو نظريته عن قانون الأطوار الثلاثة، والتي تتلخص في أن التفكير الإنساني مر بثلاث مراحل تتمثل في انتقال هذا الأخير من إدراكه لفروع الإنسانية من الدور اللاهوتي الديني إلى الدور الميتافيزيقي ثم إلى الوضعي.

ومن إسهامات أوغست كونت في علم الاجتماع:

• الكشف عن مبدأ الوحدة العقلية بعدما كان يسود التفكير الميتافيزيقي.

• الدعوة إلى التمرد على النظام السياسي والتحرر من قيوده البيروقراطية وأنظمته الاستبدادية.

• إحلال الفلسفة الوضعية بدل الميتافيزيقا.

• تطبيق منهج البحث الوضعي على الظواهر الاجتماعية للوصول إلى وحدة المعرفة الوضعية.

• وجه علم اجتماع نحو دراسة الاستقرار الاجتماعي ونبه إلى إمكانية استخدام المنهج العلمي في الوصول إلى القوانين والمتغيرات إلى تؤثر الظواهر الاجتماعية.

3) كارل ماركس (1818_1883م) Karl Marx

هو مفكر ألماني الأصل ولد ببروسيا، درس القانون والفلسفة والتاريخ وقد تأثر بالفلسفة المنطقية للفيلسوف هيجل والفلاسفة الكلاسيكيين، لذا فقد اعتمدت أفكاره على أن التاريخ لا ينشأ من خلال حوادث استبدادية خارجة عن إرادة الإنسان إنما هو خاضع لإرادة تتحكم فيها مجموعة من الدوافع، اشتهر بنشاطه الثوري وانصبت مؤلفاته على الفلسفة والتاريخ بالإضافة إلى السياسة والاقتصاد، إلا أن كتاباته في القضايا الاجتماعية كان لها الأثر الكبير في علم الاجتماع فمن الواضح أن أفكاره وتصوراته قد شكلت أرضية خصبة لنقاشات عدة ونظريات كثيرة.

وعلى الرغم من أنه لم تكن له مؤلفات خاصة في علم الاجتماع إلا أن كتاباته تصنف ضمن أهم المؤلفات التي أثرت في حقل السوسيولوجيا وكانت بمثابة محاولة منظمة لتطوير علم الاجتماع باعتبار أن نظريته كانت من أهم النظريات السوسيولوجية التي عالجت قضايا التغير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية من مدخل اقتصادي.

وقد تمثلت إسهاماته في علم الاجتماع فيما يلي:

- تبنيه التفسير المادي للتاريخ من خلال التركيز على العلاقة بين الوعي والوجود الاجتماعي حيث يعتبر ماركس أن هذا الأخير أساس للوعي والذي بدوره هو انعكاس للوجود الاجتماعي وفق منظور المادية التاريخية والتي تعتبره واقعا موضوعيا مستقلا.
- نظرية الصراع الطبقي إذ يرى أن الطبقات الاجتماعية ووجودها هي السبب الرئيسي في توليد الصراعات، ومن خلال هذا الاستنتاج قسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة بورجوازية مالكة وطبقة بروليتارية غير مالكة.

- حدد كارل ماركس موضوع الدراسة في علم الاجتماع في دراسة المجتمع الإنساني ككل تاريخي متغير من خلال دراسة القوانين الاجتماعية لتطوير التكوينات الاجتماعية والاقتصادية.
- الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي وركز في ذلك على نظام الإنتاج الرأسمالي حيث أشار إلى أن الفوارق الاجتماعية تتجلى بوضوح في الاقتصاد، وسرعان ما تفشت في جميع المجالات.

وإجمالا فإن أبرز ما ساهم به كارل ماركس في علم الاجتماع هو إقامة النظرية الماركسية الاجتماعية التي جزأها إلى 4 محاور: العلاقة بين الأساس المادي والبناء الفوقي للمجتمع، الاغتراب والصراع الاجتماعي، الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي، والثورة الاجتماعية.

4) إميل دوركايم (1858_1917م) Émile Durkheim

هو فيلسوف فرنسي ومن أهم الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع، عرف باسم أبي المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع لمنهجيته التي تجمع بين البحث التجريبي والنظرية الاجتماعية، تأثر بشكل كبير بفلاسفة عصر التنوير أمثال جان جاك روسو ومونتسكيو و سيمون.

ولقد سلم دوركايم شأنه شأن أوغست كونت بالوضعية كأساس للمعرفة السوسيولوجية، ورأى أنه لابد أن يصبح علم الاجتماع علما طبيعيا حيث أنه على الرغم من إسهام علم الاجتماع في الفكر الفلسفي إلا أنه في الوقت ذاته لا يمكن أن يعتمد على الفلسفة أو يستمد منهجه منها، فالوضعية هي أساس العلم وهي الفلسفة التي وضعت حدا للتأملات العقيمة، ويجب أن يهتم علم الاجتماع بالوقائع القابلة للملاحظات وأن يستخلص قضاياه العامة منها.

وتمثلت إسهامات إميل دوركايم في علم الاجتماع فيما يلي:

- دراسة الضمير الجمعي والتضامن الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي جاءت بها الحداثة.
- الوظيفة الاجتماعية والحقيقة الاجتماعية حيث حدد موضوع علم الاجتماع في أنه الحقائق الاجتماعية والظواهر التي تنشأ من خلال تفاعل الأفراد في المجتمع.
- درس الانتحار والتكامل الاجتماعي حيث تناول الظاهرة من منظور سوسيولوجي، وأرجعها إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية التي تبرز مدى التكامل والتفكك بين الفرد والمجتمع.
- دراسة الدين كوظيفة اجتماعية حيث له وظيفة في الحفاظ على النظام الاجتماعي.

5) ماكس فيبر (1864_1920م) Max Weber

عالم اجتماع ومؤرخ ألماني يعتبر من أهم المنظرين لعلم الاجتماع، فقد أثر في نمو النظرية السوسيولوجية تأثيرا واضحا حيث يتخذ علم الاجتماع عنده طابعا ذاتيا، ولقد تعددت اهتمامات فيبر مابين الاقتصاد والمجتمع والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي و علم اقتصاد المعرفة، والسياسة والقانون، فكانت اهتماماته عملية فلم يهتم بالموضوعات الأساسية في علم الاجتماع ومع ذلك كانت لديه قدرة تحليلية فائقة، فدرس موضوعات قد لا تبدو لصيقة بعلم الاجتماع ولكنها أثرت في النظرية السوسيولوجية بقدر كبير.

وقد اهتم ماكس فيبر بتفسير الفعل الاجتماعي وفهمه على مستوى الأفراد والجماعات باعتبارهما أساس المجتمع، وقد استرسل في تحليل البنية الاجتماعية والتطور الاجتماعي وصولا إلى دراسة الفعل التقليدي، ثم الفعل الوجداني والإيديولوجي انتهاءا عند الفعل الفردي.

تعتبر إسهامات ماكس فيبر في السوسيولوجيا من بين أهم الإسهامات العلمية والفكرية في علم الاجتماع وتمثلت في:

- أسس لعلم جديد قائم بذاته تحت مسمى علم اجتماع الفهم الذي يلزم الباحث بالانطلاق من الأفراد لفهم ظاهرة عامة وكذا ما أسماه بالنموذج المثالي، حيث أن هذا الأخير نموذج مفهومي تحليلي يمكن استخدامه لفهم العلم.
- دراسة الفعل الاجتماعي من خلال فهم السلوكات الفردية والجمعية وما تحمله من قيم ثقافية والتركيز على الفعل الاجتماعي لا البيئة الاجتماعية.
- تقديمه للأساس الفلسفي والنظري العلوم الاجتماعية والذي انتظمت حوله مختلف الدراسات الاجتماعية من خلال استثمار مفاهيمه وتصوراته و مقاربته المنهجية.
- اتجاه الفهم عند فيبر يرتكز على بيان مدى خصوصية الظاهرة الإنسانية وتميز طابعها الذاتي غير القابل للتجزيء، مع إمكانية معرفتها وتمييزها علميا دون اللجوء إلى الإسقاط التعسفي للمنهج التجريبي عليها.
- سعى ماكس فيبر إلى إدراك الموضوع المراد دراسته بالاعتماد على المعاني والدلالات التي تضفيها الذات المدروسة على أفعالها، حيث أن العلاقة بين الذات الباحثة وموضوع المعرفة قائمة على الاتصال وليس الانفصال.

6) هربرت سبنسر (1820_1903م) Herbert Spencer:

هو أحد رواد علم الاجتماع الحديث، ويعتبر أول من استخدم مصطلح علم الاجتماع بشكل منهجي، تأثر بأفكار داروين لكنه طبقها على المجتمع قبل داروين نفسه، وفيما يلي أهم أفكاره في علم الاجتماع:

- التطور الاجتماعي.
- دراسة المجتمع ككائن حي.
- البقاء للأصلح.

- الفردية والحرية.
- الوظيفية.
- الصراع والقانون.
- الاستاتيكا الاجتماعية.